صورة الإمام علي (ع) في قصيدة "على ضفاف الغدير" لمصطفى جمال الدِّين

أ.د. علي أحمد عِمران

dr.aliomran7@gmail.com

الجامعة الأهلية ، مملكة البحرين

الملخص

اهتم الأدباء والشُّعراء منذ القدم برسم صور الأبطال، ووضعها في قوالب فنّيّة رائعة من شعرٍ ونثر، تخليدًا لقيم البطولة والمواقف النّبيلة والعظيمة لهم، وحفاظًا على تلك الدُّروس الحربيّة والأخلاقيّة للأجيال اللّاحقة. والمسلمون من تلك الأمم التي خلّدت صور أبطالها عبر الشّعر والنّثر.

والإمام علي(ع) واحدٌ من أقوى وأشجع الأبطال في التّاريخ الإسلامي، بل من القلائل الذين خلّدهم التّاريخ إبان فجر الإسلام حيث المعارك والوقائع الإسلامية التّاريخية الأولى.

والشاعر مصطفى جمال الدِّين رسم صورةً عظيمةً للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قصيدته" على ضفاف الغدير" في ثمانين بيتًا شعريًّا صوره كمرجعية، وكأنموذج أكمل للبطولة الحربيّة والعسكريّة، فارسُ لم يهزمْ في أيّ معركةٍ قطّ، وكقدوةٍ تركها رسول الله (ص) من بعده.

يحاول هذا البحث دراسة صورة الإمام عليّ عليه السلام في قصيدة" على ضفاف الغدير" لشاعر مصطفى جمال الدِّين.

الكلمات المفتاحية: الشّعر، النّثر، علي بن أبي طالب ، الحرب ، الأخلاق ، البطولة ، الصّورة.

The Image of Imam Ali (PBUH) in Mustafa Jamal Al-Din's Poem "On the Banks of Ghadir"

Prof. Dr. Ali Ahmad Omran

Ahliya University, Kingdom of Bahrain

Abstract

Since ancient times, writers and poets have focused on depicting the images of heroes, placing them in magnificent artistic forms of poetry and prose, immortalizing their values of heroism, noble and great actions, and preserving those military and moral lessons for future generations. Muslims are among the nations that immortalized the images of their heroes through poetry and prose.

Imam Ali (PBUH) is one of the strongest and bravest heroes in Islamic history, and one of the few whose image was immortalized by history during the dawn of Islam, where the first Islamic battles and historical events took place.

Poet Mustafa Jamal al-Din has painted a great image of Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH) in his poem "On the Banks of Ghadir," using eighty verses, depicting him as a reference, as the ultimate model of military and heroic valor—an undefeated knight in any battle, and as a role model left behind by the Messenger of God (PBUH).

This research aims to study the image of Imam Ali (PBUH) in the poem "On the Banks of Ghadir" by poet Mustafa Jamal al-Din, using a descriptive-analytical approach to reach the desired conclusions from this study.

At the end of the research, I have provided a set of conclusions.

Keywords: Poetry, Prose, Ali ibn Abi Talib, War, Morality, Heroism, Image.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

1-التمهيد

إنّ الشِّعر الملحمي وما هو قريب منه كان يركّز على تصوير البطولات والفضائل، والشّعر العربي وإن لم يكن يتمحض لهذا النّوع من الشّعر إلا أنّه لا يخلو من ملامح هذا الفنّ، ولعل من أبرز الشّخصيات التي نظمِت حولها قصائد تقترب من الشّعر الملحمي هو ما نُظِمَ في أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام، ولعلنا نجد في شعر السّيد الحميري[1] كثيرًا من هذه الملامح إذ إنّه لم يترك فضيلةً لعلي(ع) إلا ونظم فيها شعرًا فكان شعره تصويرًا لبطولته وتضمينًا للأحاديث الواردة فيه[2]، حتى قال فيه طه حسين:" ولعل شيعة العلويين لم يظفروا بشاعرٍ مثله – أي السّيد الحميري- في حياتهم السياسية كلّها، وقف عليهم عمره وجهده، وكاد يقف عليهم مدحه وثناءه، مخلصًا في ذلك كلّه إخلاصًا لا يشبهه إخلاص"[3]، وفي موطن ثان يقول:" فقد كان السّيد الحميري أحد الشُّعراء الذين عرفوا بكثرة الشّعر، ولم يتقدّمهم في ذلك أحدٌ، في جاهلية أو إسلام، وهم بشار، وأبو العتاهية، والسّيد[4]، الشاعر وأمّا الشّاعر مصطفى جمال الدين[5] في هذه القصيدة" على ضفاف الغدير" فلم يكتفِ بنظم فضائل علي (ع) فقط؛ وإنّما انقسمت تصويراته في اتجاهين:

الأوّل: تصوير هذه الفضائل والتغني بها وذكر ما تضمنته تلك الأحاديث والرُّوايات والأحداث التّاريخية، وهو في هذا مشابه للقدماء.

الثاني: تصوير شعوره تجاه علي وإعجابه به وطريقة إحساسه بفضائله، فارتكزت تصويراته على تصويره في إشباع الرّي وإطفاء الظمأ فهو عنده النَّهر والغدير والشَّجر والسِّحاب والنَّدى والطَّل والاخضرار والعشب والنَّماء.

ولقد لفت نظري بعض البحوث التي درست الأدب الشِّيعي فلم تستوعب خصوصية هذا الأدب، ولذلك فُهمت التّصويرات التي جاءت لعلي بن أبي طالب عليه السّلام في الشِّعر على أنّها نوعٌ من الغلو وأنّها تأليه، ومثال على ذلك ما قاله فوزي غنيمي[6] : " إلا أننا ألفينا التّصور الشِّيعي- خاصّة المضمّن في مواقع (اليوتيوب) – قد غالى إلى حدّ كبير في نمذجته لصورة علي بن أبي طالب فمن حين إلى آخر الصورة، وتبدّلت الملامح، وقد صار عليٌّ نبيًّا، ومن ثمّة إلهًا، وإننا ندرك من ههنا أن المتحدثين عن شخصية علي بن أبي طالب لم يقدّموا صورته حتى تستجيب لرمزيّته الدّينية واستئناف النّظر في ما ألفته الذّكرة الجمعيّة الإسلاميّة لرمزيّته السّياسية عند أهلها من الشّيعة فما قُدّم على أنّه صورة لعلي نراه صورة لشخصية بديلة، هي الشّخصية التي تخيّلها الشّيعة في بادىء الأمر سيّاسيًّا وآمنوا غلوًا بها أخرويًّا ردًّا على كلّ النّصوص الدّينية"[7].وفَهِمَ الكاتبُ من ذلك أنّ عليًّا عليه السّلام عند الشّيعة له صورة نبي وصفات إله، ولم يستوعب مفهوم الإمامة، ولذلك لا بدّ لمن يدرس الأدب الشّيعي أو أدب أيّ أمةٍ من أن يفهم أصولها الفكرية ويتأولها بناءً عليها، لا بناءً على منطلقاته هو ويحاكم نصوصها.

1-السيد الحميري هو: إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري (105هـ- 723م/789م) شاعر شيعي، وهو حفيد الشاعر يزيد بن ربيعة؛ الذّهبي، تاريخ الإسلام،ص 158، ج11، 2020م.

2-" وكان يتعصب لبني هاشم تعصبًا شديدًا، وأكثر شعره في مدحهم، وذم غيرهم ممن عنده ضدهم"؛ انظر كامل سلمان جاسم الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي، بيروت: دار الكتب العلمية،2007م.

3- طه حسين، حديث الأربعاء، ط14، القاهرة: دار المعارف، ج2، ص240؛ وكذلك كتاب " من تاريخ الأدب العربي: العصر العبّاسي الأوّل (القرن الثاني)ج2، ص 314.

4- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي: العصر العبّاسي الأوّل (القرن الثاني) ج2، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، ص 315، 1991.

5-مصطفى جمال الدّين عالمٌ وأديبٌ شاعرٌ عراقيّ ولد في قرية (المؤمنين) بسوق الشيوخ – بالعراق عام 1927م، وأكمل دراسته الدينية في النجف الأشرف ثم بجامعة بغداد وحصل على الدكتوراة عام 1979م، وأصبح معيدًا فيها ، وزاول التدريس في كلية الفقه، وكلية الآداب، وكلية أصول الدين في مدة تزيد على عشرين عامًا، هاجر من العراق لظروف سياسية عام 1980م، ورأس جمعية الرابطة الأدبية في النجف من 1975-1980م، توفي في الغربة بعيدًا عن وطنه العراق سنة 1996 ، ودفن في مقبرة الغرباء في دمشق، وترك مؤلفات منها:" الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة"، وجميل بثينة: رواية شعرية تقع في 900 بيت، و" ديوان عيناك واللحن الجميل" و" الديوان" الذي أخذت منه هذه القصيدة" على ضفاف الغدير"؛ انظر: إميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة (ط. الأولى). بيروت: دار صادر. ج. المجلد الثالث ل – ي. ص. 1251،(2009 .وغيره.

6- بحث منشور في مجلة فتوحات في عددها الرابع لعام 2017، عنوانه:" صورة علي بن أبي طالب عند الشيعة من خلال مواقع اليوتيوب".

7-المرجع نفسه، ص 85.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

والنّصُّ الذي بين أيدينا جميلٌ جدًّا عنوانُهُ (على ضِفاف الغدير[8]) للشّاعر العراقيّ الكبير مصطفى جمال الدّين، نصٌّ فيه ظمأٌ إلى الأنموذج الأكمل/ عليّ بن أبي طالب (ع) مصدرِ الرّي الأوحد. وقد لعب في هذا النّص على ثنائية الرّي والظمأ؛ تلك الثنائية التي خلق منها جوًا من المتعة واللّذة في طول النّص وعرضه. وسوف أعرض النّص كاملًا وأوزّعه على ستةِ مقاطعَ كبرى تمثل اللوحات التي عرض فيها الشّاعرُ صورة عليّ (ع) كما أجدها في القصيدة بحسب تقسيم الشّاعر، فبدأت بتحليل العنوان ثم عرّجت على تحليل النّص ثم أتبعت ذلك بخاتمة تشتمل على أبرز النتائج.

2- المدونة الشّعريّة[9]

1. ظَمِيءَ الشِّعرُ أم جَفاكَ الشُعورُ كيف يَظما مَنْ فيه يجري الغديرُ
2. كيف تَعنو للجدبِ أغراسُ فكرٍ لِعليٍّ بها تَمُتُ الجذورُ
3. نَبتَتْ _ بين (نهجِهِ) وربيعٍ من بَنيهِ، غَمْرِ العَطاءِ – البُذورُ
4. وساقها نَبعُ النَبيّ ،وهل بعـ دَ نَمِيرِ القرآن يحلو نَميرُ؟
5. فَزَهَتْ واحةٌ، وَزَفَّتْ غصونٌ ونما بُرعُمٌ ، ونَمّتْ عُطورُ
6. وأعدّتْ سِلالَها، للقِطافِ ال غَضُ مِنّا قرائحٌ وثغورُ
7. هكذا يَزدهي ربيعُ عليٍّ وتُغنّي على هواه الطيورُ
8. شَرِبتْ حبَّةُ قلوبُ القوافي فانتشتْ أحرفٌ، وجنّتْ شطورُ
9. وتَلاقي بها خَيالٌ طروبٌ وَرُؤىً غَضّةٌ، ولفظٌ نضيرُ
10. ظامِئَ الشِّعرِ، ههنا يولدُ الشّع رُ، وتَنمو نُسورُهُ وتطيرُ
11. ههنا تَنشرُ البلاغةُ فَرعَي هَا، فتَسْتافُ من شذاها الدّهورُ
12. (هَذَرَتْ) حَولَهُ بكوفانَ يومًا (ثُمَّ قرّتْ) وما يزالُ الهديرُ
13. وسَيبقى يهُزُّ سَمْعَ الليالي مِنبرٌ من بيانهِ مسحورُ
14. تتلاقي الأفهامُ من حوله شتّ ى : فَفَهِمٌ عادٍ، وفَهمٌ نصيرُ
15. وَيَعودونَ.. لا العدوُّ قليلُ ال زادِ منهُ، ولا الصديقُ فقيرُ
16. ظامِئَ الشِّعرِ ، ههنا : الشعرُ ، والفَنُّ وصوتٌ ،سَمْحُ البيانِ، جَهِيرُ
17. بِدعَةُ الشِّعرِ أن تَشُوبَ الغديرَ ال عذبَ في أكؤس القصيدِ البُحورُ
18. وعليٌّ إشراقَةُ الحبِّ، لو شِي ب بسُودِ الأحقادِ كادَت تُنيرُ
19. أيَّها الصَّاعِدُ المُغِذُ مع النَّج م هنيئًا لكَ الجناحُ الخبيرُ
20. قد بهرتَ (النجومَ) مجدًا وإشعاعًا عًا، وإنْ ظُنَّ : أنكَ المَبهورُ
21. وبلغتَ المَرمى، وإن فُلَّ ريشٌ وانطوى جانِحٌ عليه كَسِيرُ
22. ومَلأتَ الدنيا دَويًّا ، فلا يُس معُ إلا هُتافُها المخمورُ
23. فَقُلوبٌ على هواكَ تُغنّي وأكفٌ إلى عُلاكَ تُشِيرُ
24. حِيَلٌ للخلودِ، قامَرَ فيها لاعِبِيهِ .. والرابحُ المقمُورُ !!
25. وسيبقى لكَ الخلودُ، وللغا فين، في ناعمِ الحريرِ، الغُمورُ
26. وستبني لكَ الضمائِرُ عُشًّا ولدنيا سِواكَ تُبنى القصورُ
27. وستبقى إمامَ كلِّ شريدٍ لزَّهُ الظلمُ، واجتواهُ الغُرورُ
28. وسيجري بمَرجِ عذراءَ من (حُجـ رِكَ) نَحرٌ .. تقفو سَناهُ النحورُ

[8]- مصطفى جمال الدين، الديوان، ط1، بيروت: دار المؤرخ العربي، ص221، 1995م.

[9]- أنشدت هذه القصيدة في افتتاح (مهرجان الإمام عليّ) ب(لندن) بمناسبة مرور 14 قرنًا على (عيد الغدير) في 18 ذي الحجة سنة 1410هـ.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

29. سيدي أيُّها الضميرُ المُصفى والصِراطُ الذي عليه نسيرُ
30. لك مَهوى قلوبِنا، وعلى زا دِكَ نُربِي عُقولنا، ونَمِيرُ
31. وإذا هَزّتِ المَخاوِفُ روحًا وارتمى خَافِقٌ بها مَذعورُ
32. قَرَّبتْنا إلى جراحِكَ نارٌ وهَدَانا إلى ثَباتِكَ نُور
33. نحن عُشَّاقُكَ المُلِحُونَ في العِش قِ.. وإنْ هامَ في هواكَ الكثيرُ
34. باعَدَتْنا عن (قومِنا) لُغةُ الحـ بِّ فظنّوا: أنّ اللُباب القُشورُ
35. بعضُ ما يُبتلى به الحبُّ هَمْسٌ من ظنونٍ.. وبعضُهُ تَشهيرُ
36. إنّ أقسى ما يَحمِلُ القلبُ أنْ يُط لَبَ مِنهُ لِنَبضِهِ تَفسيرُ
37. نحن نهواكَ، لا لشيءٍ، سوى أنّ كَ من أحمدٍ أخٌ ووزيرُ
38. وحُسامٌ يحمي، وروحٌ تُفدّي ولسانٌ يدعو، وعقلٌ يُشِيرُ
39. ومفاتيحُ من علومٍ، حَباها لكَ، إذ أنتَ كنزُها المذخورُ
40. ضَرَبَ اللهُ بين وَهْجَيْكُما حَدْ دًا : فأنتَ المنارُ وهوَ المُنِيرُ
41. وإذا الشّمسُ آذنَتْ بمَغيبٍ غَطَّتِ الكونَ من سَناها البدورُ
42. نحن يا قَومَنا، وأنتُمْ على در بٍ سواءٍ، يَلُدُّ فيه المَسيرُ
43. غير أنا نَسري إلى (الوحدة الكبـ ـرى) وندري أنَّ الطريقَ عَسيرُ
44. في مَتِيهٍ تناهَبَتْهُ الأعاصيرُ ، وجُنّت بجانبِهِ الصّخورُ
45. وعلى دَربنا إلى القِمّةِ السم حاءِ، شَوكٌ يُدمِي، ورملٌ يَمورُ
46. وبنو عمّنا تُراوِحُ في السيـ ـرِ، وتدري: أنّ الوقوفَ خَطيرُ
47. ويقولونَ: إنّ نهرًا من الفُر قَةِ يَنشَقُ بيننا ويَغورُ
48. وعلى ضِفّتيهِ يمتَليءُ التا ريخُ حِقدًا.. فيستحيلُ العُبورُ!
49. صَدَقوا...غيرَ أنّنا لا نُحِيلُ الـ أمر ما طالَ حولَهُ التفكيرُ
50. بعضُ ما يُستحالُ من وَحدَةِ الرأ س قصورٌ، وبعضُهُ تقصـ ـيرُ
51. وإذا طابَتِ النوايا تلاقَتْ في هوى الضِفّتينِ منا الجُسورُ
52. قَارِبُونَا ، نَقْرَبْ إليكم ، وخلّوا الحقدَ تَغلي قلوبُهُ وتفورُ
53. فسيصحو الطُّهاةُ يومًا ، وقد ذا بتْ بنارِ الأحقادِ ، حتى القدورُ
54. نحن يا قومَنا، سُراةُ طريقٍ يَستوي بَدؤنا به والمَصيرُ
55. قد صَعِدنا به إلى ذُروةِ المج دِ، فما عاقَنا اللظى والهجيرُ
56. استثارَ الإسلامُ موتى مَوَاضِينا فَهبّتْ .. وفي شَباها النُشورُ
57. وَدَعَتْنا بدرٌ لصَحوَتِنا الأو لى وأحدٌ ، وخيبرٌ، والنَّضيرُ
58. فَركبْنا مَتنَ الزّمانِ ، وقُدنا ال موتَ أعمى ، يَسير حيثُ نسيرُ
59. واتّينا (هِرَقْلَ) في ضِفّةِ (الير موكِ) شُعثًا، فارتجّ فيه السريرُ
60. قد مَزَجنَا أمواجَهُ بالعِقاصِ ال شُقرِ فانداف طِينُهُ والحريرُ
61. واقتحَمْنا (الأيوانَ) هُوجًا فلا (رُسْ تُمُ) كَفَّ الرّدى ،ولا(أردشيرُ)
62. اسألوه : هل شبَّتِ (النارُ) فيه مُذْ دخلنا ،وفي ظُبانا (النُّورُ)
63. يا لأمجادنا : أنَحنُ بقايا ال سيفِ منها ، أم غِمدُهُ المكسورُ
64. هَدّنا ذُعرُنَا وحارَتْ سرا يانا: أغُولٌ يَقودُها أم أميرُ ؟!
65. أيُّها الخانِعونَ قد أينَعَ الذُ عرُ، وأعطى ثِمارَهُ التّذعيرُ

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

66. ملأْتُمْ أسواقَنا بغِلالِ ال جُبنِ ، حتى استكانَ منّا الجَسورُ
67. فأَلِفْنا (العَويلَ) حين نَبا في ال سمعِ من جاثِمِ الأسودِ(الزئيرُ)
68. واصطنَعتُمْ للفكر سُوقَ رقيقٍ سِيمَ فيه النُّهى، وبِيعَ الضميرُ
69. فقرأنا ما ذبَّجوا من مَعاذِ ير هُروبٍ ، تَخزى عليها السُطورُ
70. وسَمِعنا صَوتَ الهزيمةِ ، يُخفي هِ . على بُؤسِهِ ، خطابٌ مثيرُ
71. وعَلِمنا – كما تُريدون . : أنّ ال حَربَ في مثل حَالِنا تغريرُ
72. وبأنّ الجيشُ الذي سَدَّ عينَ ال شمسِ – ما رَدَّ عاديًا – معذورُ
73. والسّلاحَ الذي حَشَدنا ، فضاقتْ بضحاياه من بَنِينا، القبورُ
74. قد عَذَرنا به الأساطيلَ لم تر هِبْ سَفينًا، لم تَهَبْها بحورُ
75. وَعَذَرنا حتى (الأواكِسَ)، لم تَك شِفْ مَغَازًا .. وكيف يَرنو ضريرُ !!
76. حسبُكُمْ أيُّها المليئون نُصحًا وانهزامًا، فسعيُكم مشكورُ !
77. اتركونا .. تحارِبِ السّيفَ أدوا جٌ، وتُردي الرُمْحَ اللئيمَ صُدورُ
78. وأريحو سِلاحَكم، وأعِدّو هُ لشعبٍ ، تحت الرَّمادِ، يثورُ
79. ودعونا نَرمي الحجارةَ كفّ صغيرٍ يَحميهِ عَزمٌ كبيرُ
80. فوراءَ (المِقلاعِ) بأسٌ وصِدقٌ وراءَ، (الصّاروخِ) رُعبٌ وزورُ[10]

لندن:07/05/1990

3- تحليل العنوان: على ضفاف الغدير

العنوان مكون من ثلاث وحدات معجمية (على- ضفاف- الغدير) ، وقد تمّ التركيز فيها على المكان (الغدير)؛ ولكن على ضفافه، فالجار والمجرور يبينان الوصول إلى حدود هذا المكان وقوله (على ضفاف) باعتبار أنّه ليس في الغدير؛ وإنّما يشرف عليه فالضفاف يوقف عليها؛ لأنّ الفعل المتعلّق به حرف الجر هنا محذوف، وأقرب تقدير له هو وقوفٌ أو جلوسٌ على ضفاف الغدير. ومفردة الغدير في قواميس اللغة بفتحٍ فكسر: هي القطعة من الماء يغادرها السيل، مياه راكدة، قليلة العمق، وقد تكوّنت بعد انتهاء السيل، و(الغدير) عن الجغرافيين: النهر الصغير، وجمعه: غُدْر، وغُدُر، وغُدران، وأغدرة. والقصيدة بعد ذلك كلّه تنتمي إلى حقل الطبيعة، حيث المدرسة الرومنسية، فشعر السيد مصطفى جمال الدين كله قائم على ثنائية العطش والري، والماء والقحط، فهو على الضفاف (الشاطئ) وينظر إلى الماء، والماء هنا يحمل رمزية المكان (الغدير) المفعم بمعاني الطهر والحركة والحياة.

4- تحليل النص:

لقد قسم الشّاعر قصيدته إلى ستةِ مقاطع كبرى، وتقسيم القصيدة إلى مقاطع يعدُّ أسلوبًا من أساليب الشّعر الحديث، وإن كانت القصيدة مبنية على النّهج الكلاسيكي القديم الذي يقوم على نظام الشّطرين (الصدرُ والعجز)، وهي مكونة من ثمانين بيتًا شعريًّا.

ويمكننا توزيع القصيدة بمقاطعها السّتة على النّحو الآتي:

4-1- لقد رسم الشّاعر في المقطع الأوّل (1-9) صورة الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) باعتباره مرجعية تركها لنا رسول الله (ص) من بعده دليلًا على نصاعة رسالته التي نقلت النّاس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

فقال: ظمىءَ الشعرُ أم جفاكَ الشعورُ * كيفَ يظما من فيه يجري الغديرُ**
كيف تَعنو للجدبِ أغراسُ فكر * لعليٍّ بها تَمُتُّ الجدورُ**
نبتَتْ – بين (نَهجِهِ) وربيعٍ * من بَنيهِ، غَمْرِ الغَطاءِ- البُذورُ**
وسقاها نبعُ النبيّ، وهل بع * دَ نَميرِ القرآنِ يحلو نَميرُ؟**
هكذا يزدهي ربيعُ عليٍّ * وتُغنّي على هواها الطيورُ**

[10]- مصطفى جمال الدّين، الدّيوان ، ص ص221-230.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

شَرِبتْ حبَّهُ قلوبُ القوافي *** فانتشتْ أحرفٌ، وجُنّتْ سُطور

4-2- يرسم الشاعر في المقطع الثاني(10-18) صورةً جميلة لعلي بن أبي طالب باب مدينة علم النّبي محمّدٍ(ص)، فهو يدعو النّاس كلّ العطاشى إلى الرّي من غدير عليٍّ، فالغدير يروي الجميع فقال:

ظميءَ الشعرُ هاهنا يُولَدُ الشعرُ *** ،وتنمو نُسورُهُ وتَطيرُ

ههنَا تَنشرُ البلاغةُ فَرعَي *** ها، فَتَسْتافُ مِن شذاها الدهورُ

(هَدَرَتْ) حَولَهُ بكوفانَ يومًا *** (ثم قرّتْ) وما يَزالُ الهديرُ

وَسَيبقى يهُزُّ سَمْعَ الليالي *** مِنبرٌ من بيانهِ مسحورُ

4-3- يبدأ الشاعر في المقطع الثالث(19-28) بنداءٍ موجه إلى الأُنموج الأكمل، والمرجع الأمثل علي بن أبي طالب(ع) سردًا لأفعاله، وبسطًا لصفاته، وتمثيلاً للخلق العربي النبيل العظيم. فقال:

أيها الصّاعِدُ المُغِذُّ مع النج *** م هنيئًا لك الجناحُ الخبيرُ

قد بهرتَ(النجومَ) مجدًا وإشعا *** عًا وإنْ ظُنَّ: أنَّك المبهورُ

وملأتَ الدنيا دَويًّا، فلا يُس *** مَعُ إلا هتافُها المخمورُ

فقُلوبٌ على هواكَ تُغنّي *** وأكفُ إلى علاكَ تُشِيرُ

وستبقى لكَ الخلودُ، وللغا *** فِينَ، في ناعمِ الحريرِ، الغمورُ

4-4 التأكيد على مرجعية علي بن أبي طالب(ع) في المقطع(29-53) صورة المرجع القدوة؛ وذلك بسرد أفعالها وبربطها برسول الله(ص)، وإنّ التأمل في شخصية عليّ وصورته في هذا النّص ما هو إلا تأمل في المنجز المحمدي العظيم النّاجح الذي أبهر البشرية بهذا الدين العظيم. فقال:

سيدي أيّها الضميرُ المُصفَّى *** والصِراطُ الذي عليه نسيرُ

لك مهوى قلوبنا وعلى زا *** دِكَ نُربِي عُقولَنا ونَمِيرُ

نحن عُشاقُكَ الملحونَ في العش ***قِ وإنْ هام في هواكَ الكثيرُ

نحنُ نهواكَ، لا لشيءٍ، سوى أنّ *** كَ من أحمدٍ أخٌ ووزيرٌ

ضَرَبَ اللهُ بين وَهْجَيْكُما حَدْ *** دًا: فأنتَ المَنارُ وهوَ المُنِيرُ

4-5-صور الشاعر الإمام عليًّا(ع) بصورة البطل والفارس المغوار الذي لم يهزم قط كما في المقطع الخامس(54-64) استعراض لبطولة عليّ(ع) في (بدر، وأحد، وخيبر، والنضيرة)... فقال:

وَدَعَتْنا بدرٌ لصَحوَتِنا الأو *** لى وأحدٌ، وخيبرٌ، والنَضِيرُ

فَركبْنا مَتنَ الزمانِ، وقُدنا ال *** موتَ أعمى، يَسير حيثُ نسيرُ

وأتَينا (هِرَقْلَ) في ضِفةِ (الير *** موكِ) شُعثًا، فارتجَ فيه السريرُ

يا لأمجادنا: أنحنُ بقايا ال *** سيفِ منها، أم غِمدُهُ المكسورُ

4-6- في المقطع السادس والأخير: (65-80) يحاول الشاعر استنهاض الأمة العربية الإسلامية من واقعها المؤلم، وذلك بأن تعود إلى مجدها التليد وعزتها عبر استدعاء أنموذج البطل الحربي والعسكري/ علي بن أبي طالب(ع) والتّغني بشجاعته، والمقارنة بين حاله، وحال الأمة الآن فقال:

أيّها الخانِعونَ قد ايئَسَ الذُّع *** رُ ، وأعطى ثِمارَهُ التّذعيرُ

وملأتُمْ أسواقَنا بغلالٍ ال *** جُبنِ، حتى استكانَ منّا الجَسورُ

وسَمِعنا صوتَ الهزيمةِ، يُخفي *** هِ – على بؤسِهِ- خِطابٌ مُثيرُ

حسبُكُمْ أيّها المَليئون نُصحًا *** وانهزامًا فسعيُكم مشكورُ

ونجد أنّ صورة الإمام علي عليه السلام في هذه القصيدة قد انقسمت إلى قسمين كبيرين:

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

الأوّل: الصورة المرتكزة على تصوير فضائل الإمام علي(ع) والتغني بها وذكر ما تضمنته الأحاديث والروايات والأحداث التاريخية. فمثلا قوله:

وسقاها نبعُ النبيّ، وهل بع * دَ نَميرِ القرآنِ يحلو نَميرُ؟**

والثاني: الصورة التي تبين تصويره لشعوره تجاه الإمام علي(ع) وإعجابه به وطريقة إحساسه بفضائله، وارتكاز تصويراته على إشباع الرّي وإطفاء الظمأ. فمثلا قوله:

ظميءَ الشعرُ هاهنا يُولَدُ الشعرُ * ، وتنمو نُسورُهُ وتَطيرُ**

ههنَا تَنشرُ البلاغةُ فَرعَي * ها، فَتَسْتافُ مِن شذاها الدهورُ**

وفي موطن ثان يقول:

سيدي أيّها الضميرُ المُصفَّى * والصِراطُ الذي عليه نسيرُ**

لك مهوى قلوبنا وعلى زا * دِكَ نُربِي عُقولَنا ونَمِيرُ**

نحن عُشاقُكَ الملحونَ في العش ***قِ وإنْ هام في هواكَ الكثيرُ

نحنُ نهواكَ، لا لشيءٍ، سوى أنّ * كَ من أحمدٍ أخٌ ووزيرٌ**

ضَرَبَ اللهُ بين وَهْجَيْكُما حَدْ * دًا: فأنتَ المَنارُ وهوَ المُنيرُ**

وختامًا يمكننا القول إنّ صورة الإمام علي(ع) في قصيدة الشّاعر مصطفى جمال الدين (على ضفاف الغدير) قد تجاوزت الحدود التّقليديّة لشخصية علي بن أبي طالب التاريخية أو الدّينية لتصبح رمزًا للقيم الإنسانية السّامية التي تصور مآثره ، وتجسد معانيه في جوانب متعددة من شخصيته: فهو القائد، والحكيم، والمحارب، والفقيه... وقد استطاع جمال الدين أن يعكس من خلال هذه الملحمة العظيمة جوانب عميقة ومتنوّعة لشخصية الإمام علي(ع) مع بثّ مشاعره وأحاسيسه الجياشة فيها مما يجعلها واحدة من أبرز الموضوعات في شعره.

5- الخاتمة

لقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- إنّ الشّاعر مصطفى جمال الدّين في هذه القصيدة" على ضفاف الغدير" لم يكتفِ بنظم فضائل علي (ع) فقط؛ وإنّما انقسمت تصويراته في اتجاهين:

الأوّل : تصوير هذه الفضائل والتّغني بها وذكر ما تضمنته تلك الأحاديث والرُّوايات والأحداث التّاريخية، وهو في هذا مشابه للقدماء.

الثاني : تصوير شعوره تجاه علي وإعجابه به وطريقة إحساسه بفضائله، فارتكزت تصويراته على إشباع الرّي وإطفاء الظمأ فهو عنده النّهر والغدير والشّجر والسّحاب والنّدى والظّل والاخضرار والعشب والنّماء.

2- إنّ الشّاعر السّيد مصطفى جمال الدّين وفّق في استثمار الحادثة التّاريخيّة من خلال استحضارِ بطلِها الإمام عليّ بن أبي طالب(ع).

3- لقد رسم الشّاعر صورةً جليلةً في رحلة البحث عن الرّي المتمثل في شخصية الإمام علي(ع) مصدرًا للبطولات وللأمجاد والقيادة والخلاص من الحاضر المؤلم حيث الجدْب والظمأ.

4- الشّاعر عاش في العراق فالمكان هو هو، وإن كان الشّاعر في العصر الحاضر إلّا أنّه مدّ الزّمان ووحّده، فكأنّهما متعاصران، وقد رأى الشّاعر الإمام عليًّ (ع) الأنموذج الأكمل لقيادة الأمة، فاستحضر صورته المنتصرة دائمًا، فالغدير مصدر الري، فتراه يستحضر النّصوص القديمة، والتّناص حيث المعارك والبطولات (خيبر، وأحد، وبدر، وحُنين)، فجاء بخيبر ونقل حركة الإمام علي (ع) معهم إلى الحاضر وصراع العرب مع اليهود، ونقل صراع الكفر والإيمان فالوقوف على ضفاف الغدير حيث بطولات علي (ع).

5- وإنّ مسألة المياه والأنهار، والغدران، شغلت الشاعرَ كثيرًا في هذه القصيدة بل في الدّيوان كلّه، وإنّ الوقوف على ضفاف الغدير

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857

كان محور القصيدة ومنطلَقَها، وقد شكلت الثيمة الأساس التي بنى الشاعر قصيدته عليها، فالضفاف تستدعي المياه، والغدير، فالغاية عنده الحصول على الماء والوصول إليه.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر الأساس:

مصطفى جمال الدِّين، الدِّيوان،ط1، بيروت: دار المؤرّخ العربي، 1995م.

المراجع :

إميل يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة (ط. الأولى). بيروت: دار صادر. ج. المجلد الثالث ل – ي. 2009م.

شمس الدّين الذّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السّلام تدمري، بيروت: دار الكتاب، 1987م..

طه حسين، من تاريخ الأدب العربي: العصر العبّاسي الأوّل (القرن الثاني)ج2، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1991.

طه حسين، حديث الأربعاء، ط14، القاهرة: دار المعارف، ج2، 2010م

كامل سلمان جاسم الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي، بيروت: دار الكتب العلمية،2007م.

البحوث المنشورة

فوزي غنيمي،" صورة علي بن أبي طالب عند الشّيعة من خلال مواقع اليوتيوب"، مجلة فتوحات، العدد الرّابع، 2017م.

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.857